خلافة عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣ هـ)

توفي الخليفة أبو بكر في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣هـ بعد ان قضى في الخلافة حوالي سنتين، وقد أخذ أبو بكر على عاتقه قبل وفاته اختيار خليفة للمسلمين.

فكتب العمر ابن الخطاب كتابا بأن يتقلد مقاليد الحكم والخلافة من بعده، فمارس عمر حقه في الخلافة بناء على اختيار أبي بكر له، لذلك سمي في أول الأمر (خليفة رسول الله) أو (خليفة أبي بكر) ولكن ذلك يؤدي إلى تعقيد المخاطبة، لذا أطلق على عمر (خليفة) فقط، وقد أدى اتساع رقعة الدولة في عهده بعد تحرير الشام والعراق ومصر وفتح فارس وأرمينية وما رافق ذلك من تزايد مواردها وتعدد وسائل انتاجها إلى نشوء أنظمة ومؤسسات جديدة تتناول تنظيم موارد الدولة ووجوب الانفاق فيها.

ومن أهم الانجازات الإدارية التي تمت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب هي:

١–**تمصير الأمصار**: حرص الخليفة على استقرار روح الجهاد والحماس لدى المقاتلين العرب المسلمين، وحال دون اختلاطهم مع سكان البلاد المحررة والمفتوحة، فأمر أن تبنى لهم معسكرات خاصة منعزلة عن العمران حفاظاً على أصولهم العربية، وقد أنشئت الأمصار في العراق ومصر، أما في الشام فلم تكن هناك حاجة لتأسيس الأمصار، فقد استغل العرب المسلمون الدور والمنشآت التي رحل عنها الروم بعد تحرير الشام، ففي العراق أنشئت البصرة سنة ١٤هـ على يد القائد عتبة بن غزوان بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، فبني فيها مسجداً وداراً للإمارة، أما المدينة الثانية التي أنشئت في العراق فهي الكوفة التي اختطها سعد بن أبي وقاص بين الحيرة والفرات وبنى فيها المسجد ودار الإمارة وانزل القبائل منازلهم، وذلك سنة ١٧هـ. وفي مصر قام عمرو بن العاص ببناء الفسطاط سنة ٢١ هـ، وبنى فيها. جامعه المعروف باسمه، ثم أنزل الناس منازلهم.

٢-**تقسيم الدولة إلى وحدات إدارية:** من أجل تسهيل حكم الأمصار وتطوير مواردها، أقدم الخليفة عمر على تقسيم الدولة إلى ولايات كبرى، فجعل العراق ولايتين: الكوفة والبصرة، وقسم بلاد الشام إلى قسمين: الشمالي، عاصمته حمص، والجنوبي وعاصمته دمشق، اما بلاد فارس فقد جعلها ثلاث ولايات وهي طبرستان و سجستان و خراسان، أما فلسطين فجعلت ولاية قائمة بذاتها، وقسمت افريقية إلى ثلاث ولايات: مصر العليا ومصر السفلى، وغربي مصر، وصحراء ليبيا ، أما الجزيرة العربية فجعلت ولايتين مكة والمدينة. وكان يدير شؤون الولاية عدد من الموظفين في مقدمتهم: العامل أو الوالي، الذي يتولى الحكم وقيادة الجند، والقاضي وصاحب بيت المال أو صاحب الخراج.

٣- **تدوين الدواوين:** الديوان كلمة فارسية تعني السجل أو الدفتر وقد أطلق اسم الديوان فيما بعد على المكان الذي يُحفظ فيه السجل، ومهمته القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل أو الإنفاق وإحصاء الجند بأسمائهم وتقدير الأرزاق لهم، فبعد اتساع عمليات التحرير والفتوح تطلب ذلك تنظيم عطاء (راتب) جند الأمصار، وتم وضع ديوان الجند أو ديوان العطاء من حيث الترتيب العام على ثلاثة أسس متتالية: النسب والقرابة برسول الله (ص) قبيلة بعد قبيلة، والسابقة في الإسلام، والشجاعة والبلاء في الجهاد.

٤ – **بيت المال (ديوان الخراج)** بعد اتساع الدولة العربية الإسلامية وتزايد مواردها تطلب ذلك إنشاء نظام مالي مهمته ضبط دخل الدولة ونفقاتها، وكان المسلمون قد اقروا النظم المالية التي كانت سائدة في العراق وفارس ومصر والشام، وكانت ضريبة الخراج الضريبة التي تؤخذ من الأرض المزروعة موردا هاما من موارد بيت المال، وهناك ضريبة أخرى تفرض على الأرض غير الخراج وهي ضريبة العشر أي التي يدفع أصحابها عشر ثمارها ومحصولاتها، أما الجزية فضريبة على الرؤوس يلتزم بها أهل الذمة وهم النصارى واليهود والمجوس والصائبة وتسقط هذه الضريبة إذا اعتنق

الذمي الإسلام، وقد فرضت الجزية على أهل الذمة لقاء تعهد المسلمين بالدفاع عنهم وحمايتهم.

٥ – **سك العملة:** لم يعرف العرب قبل الإسلام صناعة العملة (السكة) فيقوا على العملات السائدة في البلاد التي حرروها وفتحوها دون تغيير وهي العملة الفارسية والبيزنطية، ولما تولى الخليفة عمر بن الخطاب. الخلافة حرص على إضافة بعض النقوش العربية مثل (الحمد لله) و (محمد رسول الله) وكذلك سك درهماً عربياً إسلاميا قيمته ستة دوانق (الدانق وحدة وزن معروفة آنذاك).

٦–**تنظيم القضاء:** كان القضاء في عصر الرسول (ص) منوطا بشخصه (ص)، وبعد تولي عمر بن الخطاب الخلافة دعت حاجة الدولة إلى وجود نظام تشريعي يأخذ على عاتقه القضاء بين الناس في مختلف الأمصار، فكان عمر أول من فرض للقضاة الأرزاق، وجعل القضاء مستقلا عن سلطة الوالي وكان كتابه إلى أبي موسى الأشعري دستورا للقضاة يسيرون عليه في الأحكام.

٧–**التقويم الهجري:** أجمع المسلمون على اتخاذ هجرة الرسول (ص) إلى المدينة بداية التقويم الهجري عند المسلمين (١هـ / ٦٢٢م) كما اتخذوا السنة القمرية أساساً له، وقد اختار المسلمون شهر محرم بداية للسنة الهجرية على الرغم من ان الهجرة كانت في ربيع الأول، وذلك لان المحرم اول الشهور في العدة ومنصرف الناس من الحج.

ثالثاً: خلافة عثمان بن عفان (٢٣ – ٣٥هـ)

توفي الخليفة عمر بن الخطاب في أواخر شهر ذي الحجة سنة ٢٣هـ على أثر طعنة على يد أبي لؤلؤه الفارسي وهو قائم يصلي بالمسجد الجامع في المدينة، وكان قبل وفاته قد عهد إلى عدد من كبار الصحابة باختيار خليفة للمسلمين من بينهم وقد عرفوا بأهل الشورى وهم : علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص،

وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، ووضع لهم نظاماً للبيعة حتى لا يختلفوا بينهم، وجعل معهم ابنه عبدالله بن عمر على أن لا يكون له من الأمر شيئا، وبعد سلسلة من المشاورات والمداولات دعا عبد الرحمن بن عوف الإمام علي فقال له: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين (أبي بكر وعمر) من بعده، فقال الإمام على أرجوا أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي، ثم دعا عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان وأعاد عليه ما قال للإمام علي، فقال عثمان: نعم ، فبايعه ابن عوف، وبايعه أهل الشورى وعامة المسلمين في المسجد في شهر محرم سنة ٢٤هـ، وكان لعثمان بعض المميزات منها سابقته في الإسلام وزواجه من بنتي الرسول (ص) رقية ثم أم كلثوم، وهجرته إلى الحبشة وتجهيز جيش العسرة (حملة تبوك) من ماله.

تولى عثمان بن عفان الخلافة وكان طاعناً في السن قد تجاوز السبعين من عمره، فضلا عما عرف عنه من تساهل وتواضع فلم يأخذ الناس بالذي كان يأخذهم به عمر بن الخطاب من الشدة والحزم فابتنوا الدور الفاخرة وساحوا في الأمصار وامتلكوا الأراضي والأموال وأثرى بعضهم ثراء فاحشاً، وهو أمر لم يألفه المسلمون من قبل، فأنكر بعضهم ذلك عليه، ومما زاد النقمة عليه إقدامه على عزل ولاة الأمصار القدامى وتولية آخرين من بني أمية الذين أساءوا السيرة وأثاروا حفيظة المسلمين على الخليفة، منهم الوليد بن عقبة عامله على الكوفة، وسعيد بن العاص الذي تولاها من بعده، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح عامله على مصر، وكان لتصرف هؤلاء الولاة أكبر الأثر في إثارة عوامل السخط في الأمصار الإسلامية وتصاعد حملة المعارضة ضد الخليفة عثمان، فأرسل عثمان بعض الصحابة إلى الأمصار للوقوف على حقيقة الأوضاع واستدعى ولاته هناك أيضاً لمعرفة ذلك، وعرض معاوية بين أبي سفيان على الخليفة مرافقته إلى بلاد الشام التي كان معاوية واليا عليها، إلا أن عثمان رفض ذلك، ولم

تكن كل الأمصار تعارض الخليفة فكان له تأييد من بعض أهل الكوفة، أما أهل بلاد الشام فلم يكن بينهم من يعارضه.

بدأت وفود المعارضين تتوافد على المدينة في شوال سنة ٣٥هـ من مصر والكوفة والبصرة بحجة أداء العمرة، فنزلوا المدينة وشرعوا بمحاصرتها وطالبت هذه الوفود الخليفة بالتخلي عن الخلافة، وكان وفد مصر أشدهم عليه، فتوسط الإمام علي بن أبي طالب بين وفد مصر وبين الخليفة الذي استجاب لطلبهم بعزل واليه على مصر عبد الله بن سعد وتولية محمد بن أبي بكر، ثم عادوا إلى مصر، فلما أصبحوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة شاهدوا رجلاً يمتطى بعيراً ويسرع في مشيه فارتابوا منه واستوقفوه، ووجدوا عنده كتاباً موجهاً من عثمان إلى عامله في مصر عبدالله بن سعد يأمره فيه بقتل محمد بن أبي بكر وآخرين معه، فعاد وفد مصر إلى المدينة غاضباً، فأقسم الخليفة عثمان انه لا يعلم بأمر الكتاب الذي ختم بخاتمه، ويذكر بعض المؤرخين أن مروان بن الحكم كاتب عثمان هو الذي كتبه وختمه بخاتم الخليفة، وشددت وفود المعارضين حصارها حول دار عثمان ومنعوه من الخروج وقطعوا عنه الماء وطلبوا منه التنازل عن الخلافة، فرفض ذلك، فشددوا حصارهم وتولى الدفاع عن الخليفة عثمان نحو مائة من الصحابة وأبنائهم ومؤيديه من بني أمية وآل بيته، وتمكن بعض المعارضين الدخول إلى المنزل عنوة وهجموا على الخليفة وقتلوه في شهر ذي الحجة سنة ٣٥هـ.

الفتوحات في عهد الخليفة عثمان:

استمر الخليفة عثمان بن عفان في سياسة الفتوح التي بدأها كل من الخليفتين أبي بكر وعمر، ففتح المسلمون في عهده بلاد أرمينية وإفريقية – وجزيرة قبرص، ووطد المسلمون أقدامهم في بلاد فارس، كما فتح المسلمون بلاد طبرستان، وفي سنة ٣١ هـ ثار أهل خراسان على الحكم الإسلامي فأرسل الخليفة عثمان عدة جيوش تمكنت من

إخماد الثورة وفتحت عدة بلاد أشهرها: الجوزجان والطالقان وبلخ وطخارستان. وعندما تولى معاوية بن أبي سفيان حكم الشام سنة ٢٠ هـ في خلافة عمر بن الخطاب أنشأ أسطولاً قاتل به الروم البيزنطيين ووصل إلى عمورية في آسيا الصغرى (تركيا الحالية)، واستولى على جزيرتي قبرص ورودس في البحر المتوسط، وعندما تولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح حكم مصر سنة ٢٧هـ من قبل الخليفة عثمان، استأذنه لفتح إفريقية فأذن له الخليفة، وأرسل له مدداً بقيادة عبد الله بن الزبير وتعاون الجيشان على فتح افريقية (تونس) وغنم المسلمون غنائم كثيرة، ثم غزا عبد الله بن أبي سرح بلاد النوبة (السودان) سنة ٣١ هـ، وفي سنة ٣٤هـ اشتبك الجيش الإسلامي بقيادة ابن أبي سرح مع جيش الروم في معركة بحرية عرفت بـ (ذات السواري أو الصواري)، فانتصر المسلمون على الروم .

جمع القران:

بعد دخول مدن وأمصار عديدة في حظيرة الدولة العربية الإسلامية وتوسع الفتوحات، عمل الخليفة عثمان بن عفان على جمع القرآن في نص موحد، فقد كان المسلمون قبل ذلك يكتبونه على الرقاع والجلود وغيرها، إذ كانت تقوم مقام الورق حينذاك، ولم يفكر الرسول (ص) ولا أحد في حياته بعملية جمعه لأنهم كانوا يحبذون حفظه في الصدور، وانه وان كان أمـلاه متفرقاً فلكي يُحفظ لا ليكون عليه الاعتماد، وبعد وفاة الرسول (ص) وجد حماس الجمع القرآن الكريم بين بعض الصحابة مثل الإمام علي، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم، وأخذ الخليفة عثمان على عاتقه جمع القرآن، بسبب اختلاف وجوه قراءته في عهده بين المسلمين بسبب تعدد لهجات العرب، واعتمد في تنفيذ هذا المشروع على جماعة منهم : زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص وغيرهم، وقال لهم : إذا اختلفتم فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، فلما أتموا جمعه اعتمادا على النسخة التي كتبها أبو

بكر في خلافته وكانت النسخة الوحيدة نسخوا عدة نسخ أرسلها الخليفة عثمان بن عفان إلى كل الأمصار في مكة والبصرة والكوفة وبلاد الشام واليمن والبحرين، وأمر بإحراق ما سواه والاعتماد عليه دون غيره، وحين تم جمعه سمى (مصحف عثمان)، وقسم إلى سور بلغ عددها مائة وأربع عشرة سورة، ومما سهل قراءة القرآن بالنسبة لأهل الأمصار المحررة والمفتوحة هو ظهور التنقيط في زمن الخليفة الرابع الأمام علي (عليه السلام) وهناك روايات تقول في زمن زياد ابن أبيه والي الأمويين على العراق، ومن وضع هذه النقاط هو أبو الأسود الدؤلي .